



من سير أعلام الشهداء

٣١

حصاد الأجر وياكورة الخير

[حصاد الأجور وباكورة الخير]

قال صلى الله عليه وسلم ((من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء)) الحديث، والكلام عن حصاد الأجور كلام عن الجبال شموخا وعن التوحيد صفاءً، وعن السبق طريقاً، وعن التضحية شعاعاً، وعن الغربة ديناً وعن الأخوة رابطة، وعلى الجملة، عن الجنة هدفاً والنبي قائداً والله رباً، والإسلام ديناً، فمن هم؟.

هم وفد الخير الأول وباكورة الثمر الأوحى، هم رهط الله إلى الجهاد، وقواد الدين إلى العزة، ومعلمو العراق الخير، أو سواق الخير إليه، هم سر جهادنا، وفخر رجالنا، وطلبة أمتنا، وأشرف من مشى فينا، ولم يأت بعدهم مثلهم ((والسابقون السابقون أولئك المقربون)) هم ((أبو تراب، أبو فريدة، أبو حفص، أبو طارق)) أول وفود الإستشهاديين إلى العراق، وحقا كانوا أوائل في كل شيء.

جاءوا من أرض الكنانة من مصر الحبيبة الأسيرة، من مركز محافظة الشرقية مدينة الزقازيق، حي الجهاد.

[أبو تراب]

جليس لا يمل، أنيس لا يضجر، وجهه قطعة من القمر، إذا رأته ذكرك بالله، القران أنيسه، والملائكة جليسه، عابد، زاهد، قارىء، موحد، مؤدب، أدبه ربه، وصقلته عقيدته، وهو أمير المجموعة وكوكبها الدرّي الذي مازال نجمه يلمع، فمثله لا يخفت، وهو مؤدبها ومربيها وسائقها إلى الخير. هو أول المقدمين فيها بل في العراق، هو أول إستشهادي في العراق، مهندس بتروول، متزوج وله طفلان، يحب زوجته وأولاده كما يحب، يعشق أرضه وداره كما يعشق، يحلم بالجاه كما نحلم وهو لها أهل، لكن أخي جعل الدنيا تحت قدمه ومضى، نادته فما التفت، وتوسلت فما لان ولا حن،

شدته وجذوبته فما قدرت، وأخيراً جلست تولول ومضى يضحك ويجري. توقف مع رهطه في الأنبار بالرمادي وانخرط الجميع في عمل دؤوب يتزودون ليوم قريب يوم يعرضون على رب العالمين.

بكى أبو تراب وبكى وأثر البكاء على وجنتيه وانتحب خلفه أصحابه في الثلث الأخير من الليل بل والأول، فقد كان الحبيب حافظاً متقناً لكتاب الله. خرجت الآيات منه، كأنها لتوها نزلت من السماء غضة طرية وكأنها فيهم ولهم نزلت، وهي كذلك، شعروا أنهم هم المخاطبون بها دون الناس وأن التكاليف حملت على عاتقهم فتحملوا الأمانة ومضوا.

وتقدم الأمير والأسد أبو تراب ليضع أول لبنة في البناء راجياً من الله التوفيق والسداد وأن يكون قد أصاب الموضع وأحسن المكان، راجياً أن يأتي بعده من يكمل البنيان.

وكانت أول عملية على وكر من أوكار الفساد والإفساد والعمالة والخيانة، على وفد من وفود الشر ووكر من أوكار الردة. ولما إستقر عند الشهيد أن عقوبة المرتد أغلظ من عقوبة الكافر الأصلي، علم أن الواجب تقديمهم على غيرهم وخاصة إذا كانوا للكفار عيوناً وله خدم وأعوان ولأجله جاءوا ولمجده شمروا، كما هو حال السفارة الأردنية. فتم مراقبة الهدف وكانت تقع بالقرب من ساحة (يوم اللقاء) وإلى جوارها وفد المجرم شين العابدين حاكم تونس. وعُلم أن النكاية الأكبر في السفارة الأردنية تكون من الخلف حيث الطريق إليها سالك والهدف من الخلف أسهل والعيون غائبة.

لكن عين الرقيب كانت معنا، حيث أنه يوجد على حافتي المدخل الخلفي بيوت للسنة، والكمية كانت كبيرة (أي كمية المتفجرات) والشارع ضيق، فقرر الأخوة أن يكون هجوم البطل من الأمام حيث لا بيوت تتأذى من الانفجار، اللهم إلا سفارات الشر وأركان الخيانة وهو المطلوب.

وفي تلك الليلة وكما هي عادته قام الشهيد يصلي ويدعو ويتضرع إلى الله.

قال الشيخ أبو مصعب الزرقاوي رحمه الله: بت معه تلك الليلة أشد أزره وأرفع همته أذكره، فإذا به يرفع همة أمة، ويذكر من لا يتذكر بإقباله على الله وحسن الظن به يقول: كان المصباح مطفئاً وأقسم أبو مصعب أنه رأى النور يشع من وجهه كأنه البدر في الليلة المظلمة يقول: (فانتابني قشعريرة وشفقة على الرجل ووالله لولا الدين ما تركته قط ولقد هممت).

وأصبح الصبح وركب الحبيب سيارته ومضى يمحربها نحو عز أمته راجياً أن يحقق الهدف ويجراً إخوانه على عدو ماكر جبان، وبالفعل دمر الله السفارة الأردنية فقتل وجرح وأرعب أعداء الله، وجاء الشهداء بعده كالسيل الجارف يأخذ في طريقه كل خبيث وينبت حوله الزرع ويروي عطش أمة إلى الجهاد والعزة أسأل الله أن يجمعنا بالحبيب ولا يحرمنا أجره ولا يفتنا بعده وأن نلتقى في جنات عدن عند مليك مقتدر.

[أبو فريدة]

أخو يوسف وشبيه الأنبياء والمرسلين، وسيد الصفوة من الصالحين، وبقية السلف من الأخيار الطاهرين. شاب في مستهل عمر الربيع، فارع الطول، أبيض الوجه والقلب، ومن أحسن ما ترى جمالاً وبهاءً.

كان بطل مصر في احد اللعات الرياضية، فتحت إليه الشهرة ذراعيها وبين أحضانها جهنم الحمراء، لكن المسكين رآها جنان خضراء أمانى ومنون وأحلام تطير به في مجال رحب مال وإعلام وتوقعات و.... وأسرع بتوقيع عقد إحتراف في إيطاليا.

نعم رأس النصرانية إيطاليا، جاء إلى أمه يزف إليها خبره السار وأمله العريض، يريد أن يطير في الهواء ليعلم الدنيا أنه سيكون نجمها اللامع بعد فترة وجيزة، أماه سأحترف في إيطاليا. لم تصدق الأم ما سمعت، تسمرت قدمها في الأرض، علت وجهها كآبة واسودت الدنيا في عينها، رأت ابنها في الحال بين احضان العاهرات، وربما على صدره صليلاً كبيراً ككبر أحلام ذلك الطائش، ذرفت دمعة الحسرة من مقلتيها، قالت: ولدي أرجوك لا تذهب أرجوك، أرجوك.

لكن رجاء ست الحبايب ذهب سدى فأصر الابن على السفر، وسافر إلى دولة الكفر. وسافرت الأم الى بلاد الحرمين ذهبت إلى الحج وهناك بكت وذرفت الدموع رجاء أن يرد الرحيم الغفور ولدها من تلك الديار.

وفي تلك الأثناء حط صاحبي رحاله حيث أراد فوجد السيارة الفارهة في إنتظاره والبيت الواسع والمؤسس على أحدث ما ابتكرته يد الفنان الإيطالي والمعروف أصلاً بذاك وما هي إلا أيام قليلة حتى بدأت الشهرة تدب في أوصاله وصار اسمه يلمع يوماً بعد يوم، وجاءته الفتيات الجميلات، كل تريد أن تحظى بشرف توقيع لطيف أو عبارة بسيطة على دفتر صغير في حقيبة تحوى مع ذلك الكثير من الإثارة.

ومن بين الكثير من الفاتنات المعجبات، وقعت عينه على واحدة ملئت قلبه شغفا وحباً وملكت بجمالها فؤاده، ولم يعد من أسرها يستطيع فكاًكا وبدأت هي تحوطه بسيل من الكلمات يذوب أمامها الصخر الأصم.

وفي لحظة من لحظات العشق الجارف، أدرك الرجل أصله ومنبته الطيب، ما امتنعت منه فهذا دينهم لأن المرأة عندهم تسلم نفسها لمن تحب مادام عليها قاصراً، وهذا غاية الشرف عندهم ولكن صاحبنا قال لها: أريد الزواج أريد الحلال منك، فأنا مسلم وليس لي طريق إليك إلا النكاح.

أحمر وجه المرأة ورجعت القهقري، ثم ضحكت ضحكة تخلع القلب من مكانه وأردفت قائلة: عزيزي مثلك لا يرد فإنك من أجمل الناس صورة وشهرة مع البيت والمركب ولكن هناك شيء واحد فقط بسيط يعوق دون زواجنا قال متلهفاً متعجباً: ما هو؟ قالت: إنك مسلم، لو تنصرت أنتزوجك، هنا بهت الصالح وانتابه غضب كثورة البركان قائلاً يا حقيرة الآن والآن فقط كنت على استعداد أن تفعلني معي ما أشاء في الحرام ولأني أريد الزواج خشيت أن تعيري بزواجك من مسلم، وأردف قائلاً: حقيرة، حقيرة، ثم فتح باب بيته مسرعاً ثم أخذ بيدها ورمى بها خارج منزله، قائلاً: ديني أغلى وأعز وأعظم منكم جميعاً يا كلاب.

ولم ينتظر الصالح أن ينهي عقده أو يرتب أموره من بقايا أموال وتصفية حسابات، بل حزم أمتعته وركب أول طائرة متوجهه إلى دياره، نادماً على اللحظة التي عصى فيها أمه، شاكراً حامداً رب البرية على العصمة من الفتنة.

ولست في حاجة أن أذكرك يا أخي القاريء أن حبيبنا عصمه الله من حيث وقع الكثير الكثير من العباد والزهاد ولكن الله لا ينظر إلى صورنا بل إلى قلوبنا ويعلم بعلمه التقى النقي من الكذاب

الأشر، نسال الله حسن الخاتمة ونعوذ بالله من الفتن. رجع الحبيب إلى أمه راجياً منها الصبح والعفو مقبلاً قدماها قبل يديها فهي ست الحبايب، وحمدت الأم الصالحة وشكرت ربها على استجابة دعائها وسعت فزوجت ولدها من امرأة صالحة، ورزق منها بفريدة بنية كأنها الشمس في كبد السماء.

لم يطل والدها المقام عندها، بل حزم حقائبه ومضى وفي هذه المرة مضى الى وجهة معاكسة تماماً مضى إلى الله وحث الخطي، والتسبيح والإستغفار زاده، وخدمة الأخوان والذلة والتواضع لهم سمته وشعاره.

وجاء مع أبي تراب مع ركب الفضيلة يتسابقون إلى الله، فلما طلب الإخوة إستشهادياً للسفارة الأردنية، قفز هو يترجى إخوانه أن يكون أولهم فهو لا يستطيع أن يفقد أحدا منهم قبله، كما أنه ادعى أنه صاحب ذنب يريد أن يتوب منه، وما درى أن ذنبه هو سر رفعته وشموخه فما زال الخوف من الله على أنه عصا أمه يوماً يهز أركانه.

لكن أبا تراب، إستسمح إخوانه، قال رجائي أن تدعوني فيني لست رياضي مثلكم ولا أستطيع ما تستطيعون فرجائي إتركوني وتوسل إليهم فتركوه.

وجاء دور أبي فريدة، هدف ما زال الكفر ييكي دماً من يومه وما زال الصليب في حسرة على فقد كبار مجرميه في تلك الأرض الملعونة، على حد قولهم.

وكان هذه المرة ومن تدبير الله العجيب هدفا صليبياً، ليرد الصاع صاعين- كان عدو الله المجرم المسؤول عن إقتطاع جزء من بلاد مسلمة هي إندونيسيا حيث كان عدو الله هو مسؤول الأمم المتحدة الذي ضغط لاجل فصل تيمور الشرقية وتحويلها دويلة نصرانية، ثم هو الذي انهى مسألة كوسوفا على هذا النحو المخزي، وهو مع كل هذا المندوب السامي لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة، وهذا المجرم هو سيرجيو ديملو وقد تم استعارته فترة ستة أشهر فقط حتى ينهي مسألة العراق ثم يعود بعدها لعمله في حقوق الإنسان.

فتم رصد مبنى الأمم المتحدة وتحديد طريقة الدخول إليه وأختيار التوقيت المناسب، فكان هذا التوقيت الساعة الحادية عشر صباحاً.

وبالفعل ركب أبو فريدة شاحنته وتوجه إلى هدفه، وفي الطريق تعطلت به، وبدا الحاج ثامر ومن معه يحاولون إصلاح الخلل وبالفعل تم لهم ما أرادوا لكن الساعة إقتربت من الثانية، فتشاوروا بينهم، هل نرجع أو نمضي على بركة الله، فقرر أبو فريدة المضي وعدم الرجوع قائلاً: إن الله هو الرزاق: قالو له لكن الآن العمل إنتهى بالمبنى ولأحد فيه إلا قليل، قال الله يرزقني ولن أرجع.

وفي تلك الأثناء وصل الخبر الى الشيخ أبي مصعب بالتأخير فأمر بالرجوع ولما عاد الرسول الى موقع الشاحنة بالخبر وجد أبو فريدة قد توجه إلى هدفه ووصل إلى مبنى الشرك والردة ومحل الخيانة والعمالة ومن يصبغ الشرعيه الدولية على الإحتلال وعملائه، واقتحم المبنى بشاحنته، وكانت المفاجأة التي هزت العالم، ديملو تحت الأنقاض، ونائب الأمين العام للأمم المتحدة السيدة: نادية يونس، وعدد كبير من جنرالات الحرب في إجتماع ووقعوا في تخطيط شديد، إختراق كبي، عمالة داخلية، اعتقلوا كل عراقي يعمل بالمبنى وحققوا معهم، لكن لا أحد يدري أن مدبر الأمر هو رب البرية الذي يعلم السر وأخفى وأن أبا فريدة كان صاحب سر مع مولاه فرزقه من فضله الكريم ورفع قدره في أعلى عليين نحسبه كذلك، والله أسأل أن يجمعنا به في جنات صدق عند مليك مقتدر-أمين-

[أبو حفص وأبو طارق]

والآن نصل إلى هذين الأسدين اللذين فقدوا حبيبيهما، ومضى كل واحد يصبر أخاه ويستعد ليوم الرحيل، لا تراهما إلا والدمعة ملىء مقلتيهما، لا تستبين لهما قراءة لشدة البكاء، ومع هذا فالكرم الشرقاوي سيمة الرجلين، يحدثني أبو عمر وأبو عبد الله أنهما ما زاراهما يوماً، إلا وتركنا عبادتهما ومضيا يحتفيان بالضيوف وكأتهما ما رأوهما منذ عهد بعيد، لا يوم بعد يوم - تكون الزيارة. وجهز أبو عبد الله الرجلين بسلاح وعتاد كاف لفتح جبهة إذا ما اضطرا إلى ذلك، لأنهما في ذلك الوقت كانا يقطنان - مدينة الرمادي-، حيث ملأ آل (بو علي سليمان) الدنيا رذيلة وتجسس.

وسار على دربهم كل من باع دينه بعرض من الدنيا قليل، وفي يوم زارهما الحاج ثامر - رحمه الله - فهمسا في أذنه أنا نشعر أن الوضع في البيت يعني حوله صار خطراً، فبشرهما الرجل أنه يعلم ذلك أو يشعر بذلك وغداً أنقلكم بإذن الله إلى بيت أستأجر جديداً.

وفي اليوم التالي جاء ومعه آخر لنقلهما فوجدا المنطقه مطوقة بالأمريكان وماهو إلا قليل حتى سمعا إشتباك عنيف فانتابهما وجل شديد أن يكون الإشتباك مع أخويهما - وقد كان - دار إشتباك عنيف إستمر أكثر من أربع ساعات، لقي الأخوان بعدها ما أملاه من رب العالمين، لحقا بالأحبة في موقف شرف وعز وإباء أن يسلما نفسيهما لكافر حقود، وفي اليوم التالي إتصل أبو عبدالله بزوجة الشهيد أبي حفص وكانت كنيته الحقيقية على إسم ابنه (عمر) وبعدهما عرف أنها زوجته بشرها أن زوجها الآن مع النبيين والصدقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا. وكانت ومازالت المرأة صاحبة عقل فسكتت المرأة زمنا سمع فيه البكاء، ثم أمسكت بالسماعة وقالت للمتصل متى تم ذلك قال يوم كذا قالت (اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيرا منها)، ثم قالت عذرا يا أخي ممكن تخبر أمه لأني لا أستطيع أخبارها وبالفعل أتصل الرجل على أمه والتي سقطت سماعه التليفون من يدها ولم تتكلم بعد، ولا يدري أبو عبدالله ما حل بالأم والتي بيدوا أنها كانت تموت حبا في ولدها، الله يجعله لها ذخرا في الآخرة وأن يرحمها به وأن يلحقنا بهم جميعا في جنات عدن - أمين -.

[الشيخ المجاهد]

هو الشيخ المجرب، والأسد المحنك، والأب الحنون، والصديق الرفيق، والسهل الهين المتواضع، ((أبو حمزة الشامي)).

من مدينة حلب، هاجر أبوه من تركيا إبان الأضطهاد الديني أيام الهالك ((كمال أتاتورك))، ولذا كان يتقن التركية لغة أبيه، ذاك الجبل الذي غرس في نفس ابنه - كما حدثني هو - حب الدين وأهله وقيم الإباء والشموخ وأهم شيء عشقه السلاح والقنص.

حدثني أن أباه لما بلغ به الكبر عتيا أراد أنبأؤه أن يروّحوا عنه بعض الشيء فأخذوه في نزهة صيد لما يعلموا عنه من سابق عهده بهذا الأمر، فلما رأى الشباب يتبارون أمام الهدف قال لأحدهم أعطني بندقيتك، فضحك الشاب من الشيخ، وحتى ابنه ما أحسن الظن بأبيه فظنه قد نسي ما شاخ عليه، وكان أمام الشيخ علبة معدنية فقال لابنه ألقها في الهواء، وإذا بالشيخ وكأنه عاد ابن العشرين ربيعا يسدد بخفة ورشاقة على العلبة ليصيب كبدها ويسلم البندقية لولده تاركاً الجميع في صمت مطبق ودهشة لما رأوا، فعند هذا الوالد وبين يديه نشأ شيخنا وعلى يديه تدرّب على السلاح بكافة أصنافه وخاصة الخفيف منه، والذي ما خلا قط من بيتهم وعلى حدّ تعبير أبي حمزة حتى في أحلك المحن أيام أحداث حماه وحلب، تلك الأحداث الأليمة والتي شاء طواغيت العرب أن يسكبوا عليها النسيان، نسيان الحقد الباطني العلوي ضد السنة، نسيان الذل والمهانة وفقد الأهل والولد.

هذا وما زال أبطال القصة يعيشون بيننا أمثال أبي حمزة وغيرهم في سجون الطاغية المتجبر الهالك (حافظ النعجة) ومن بعده عدو الله ابنه ((بشار)).

وعلى ذكر الأخوة في سجون الطاغية الباطني العلوي أجد من الأمانة أن أذكر قصة حدثت مع أخي أبي محمد المصري شهيد عين الحلوة ومع أخي أبي صالح الأسير فك الله أسرهم. وخلاصة الأمر أنه لما سجن الأخوين ومعهما مجموعة من الأخوة في قضية تتعلق بعمل جهادي ضد قطعان اليهود بالأردن أدخلوا أبا صالح خطأ على مجموعة من الأشباح، في مكان ما هو إلا جهنم الحمراء، أو بيوت الجن أو حاويات القمامة أو فتحات المجاري، المهم مكان ما وجد فيه أشباه بشر وأناس يجلسون القرفصاء ليس عليهم إلا ما يستر سوءتهم، شعور طويلة جدا، وأظافر كأنها مخالب وحش، ورائحة الجيف تفوح من كل شيء، وصمت مطبق، ورجل بسلاح ويده سوط يجلس أمامهم لكنه بعيد عنهم وحتى لا يتأذى بالرائحة وأدخلوا صاحبي على هذا المكان.

قال: فلما رأيتهم سقط فؤادي في قدمي وشعرت بخوف خلع أطرافي من مكانها وأجلسوني بجانب أحدهم.

فاسترقت الطرف وحاولت أن أكلم أحدهم، فما من مجيب وحاولت أخرى فما من مجيب، اللهم إلا دموع تحجرت تماما كتحجر أطرافهم، كل شيء ساكن صامت.

وبعد عدة ساعات نادوا عليه وأخرجوه وفهم بعدها أنه دخل بالخطأ وأن ما رآه ليس منظرًا من أهوال يوم القيامة، وأنه حقا لم يكن بغيوبة أو كابوس مؤلم مزعج ولكن ما رآه أخوة له، يوما ما من الدهر منذ أكثر من عشرين سنة قالوا (لا إله إلا الله) في حماه وغيرها ومن ساعتها إلى يومنا هذا وهم في وضعهم الذي رآه لا كلام لا شيء لا شمس لا لا لا لا..... .

والثانية أن أخي أبا محمد حدثني قال لما دخلت السجن كنت مازلت غيباً وحقا أحمقا جاهلاً، قال أذن الفجر، فانتظرت حتى كادت الشمس أن تخرج فطرقت الباب، وأخذ صاحبي نفسا طويلا أي شهقة مؤلمة قائلاً لا أدري أطرقت باب السجن أم باب الجحيم، وعلى الفور جاءت كلابهم من كل حدب وصوب يتعجبون من ذلك الكائن الغريب والمخلوق الفريد الذي استطاع أن يطرق باب السجن دون أن يفتح له وقبل ميعاده، قالوا له مالك وقبل أن يعطوه الجزاء، قال المسكين: صلاة الفجر، فضحكوا وضحكوا ثم أمسك به جبارهم العنيد ورفع صوته النشاز قائلاً له وعذراً ((يا ابن الكلب صلاة الفجر آيه إحنا كفار كفار فاهم يعني إيه إحنا كفار)) طبعاً بلهجتهم العامية. ثم أخذ عدو الله يضرب أخي الشهيد رحمه الله على أذنه حتى سال الدم غزيراً منها ومن كثير من جسمه ثم تركوه جثة هامدة وانصرفوا يضحكون. هذا هو نظام البعث وإلى يومنا هذا وحتى لا يظن أحد خيراً بعدو الله بشار فهو طاغية بن طاغية.

وعودة إلى شيخنا أبي حمزة فقد ساقني ذكر أنه شارك في أحداث حماة مأساة إخوانه وإلى يومنا هذا في سجون الطواغيت. وأبو حمزة نفسه خير هذا العذاب لكن في قضية بسيطة جدا مكث عليها في سجونهم حيناً من الدهر.

وكنت أجلس في أثناء حربنا في الفلوجة الثانية مع الشيخ وأطلب منه أن يحدثني عن الأحداث في حلب وحماة والحمد لله سردها لي من أولها إلى قبل نهايتها ثم في الأخير قال لي: قرأت كتاب التجربة السورية لأبي مصعب السوري، قلت تقريباً نعم الطبعة القديمة المختصرة قرأتها والجديدة ليس جميعها، قال: عموماً الرجل أنصف في هذا الكتاب، وخير من كتب في هذا الموضوع، وهذه شهادة شاهد على عصر الكتاب.

ولما جاءت دولة الطالبان هاجر شيخنا إليها بحيل وحيل حيث أنه ممنوع من السفر، وهناك قاتل إلى جوار إخوانه كلا من التحالف الشمالي والشيعة الملاحين في باميان وغيرها. وهو الشيخ الكبير، فسكب بعطفه الحنان على الشباب فأحبوه وأحبوه، ورأوا فيه الأب والأخ الكبير والصديق الوفي، ولما انهارت دولة الإسلام على أيد الخونة الباكستان لا على أيد الأمريكان فحسب، رفض وهو العاشق للجهاد وأهله العودة الى سوريا ولو بجواز سفر مزور كما عرض عليه أحد أقاربه، بل رحل شيخنا إلى ساحة أخرى من ساحات الجهاد، ذهب إلى منطقة شمال العراق ((كردستان)) يقاتل عدو الله الطالباني وحزبه الإلحادي المجرم، وأستمر معهم حتى دخول الأمريكان.

ومن ثم عاود جهاد الأمريكان ولكن في الفلوجة والتي بها تعرفت على شيخنا فرأيت شيخاً عجيباً، لا يكل عن العمل، لا في حر الشمس ولا تحت وابل القصف. فاقتربت منه أكثر فإذا به عسكري عبقرى محنك، فعجبت كيف أمثالي يكون لهم رأي في الحرب وهذا الكنز ليس فيها، فتم إلحاقه بمجلس الشورى العسكري وهو مجلس عسكري مشكل لإعطاء النصائح والتوجيهات اللازمة لإدارة أزمة الفلوجة عسكرياً.

وكان شيخنا صفته الصمت إلا إذا سئل، فإذا تكلم تقطرت خبرته من بين ثناياه، وعلمت حقا أن الرجل يعشق البارود طيباً. ثم دارت رحى الحرب في الفلوجة الثانية، وكان نصيب شيخنا إلى جوارى مع زمرة من الأشاوس في حي نزال، وهناك كان عاشق القناصة لا يفارق محبوبته، فهي دراغانوف روسي منظارها مصفر جيداً، يتنقل بها من سطح إلى آخر لعله يصطاد جردونا من الأمريكان.

ثم اشتدت رحا الحرب أكثر وأكثر وتم اقتحام نزال من قبل العدو وأيضاً انخزت مع أبي حمزة وعلى الرغم أن الرجل كان في الخامسة والخمسين من العمر إلا أنه كان يقفز من فوق الجدران من سور

إلى سور ورأيت رشاقتة وخفته، قلت صدق القائل ((جوارح حفظناها في الصغر فحفظتنا في الكبر)).

وإليك يا أخي لقطة واحدة من لقطات العز والجهاد مع شيخنا. فقد انحاز هو ومجموعة من الأخوة إلى أحد البيوت على حسب الخطة المرسومة لذلك وكانوا بالطابق الثاني، وأتفق هو وأبو جعفر على أمر أنه إذا دخل الأمريكان يفتشوا البيت لا يرمي كل الأخوة لسببان:

- 1- حتى لا تستهلك كمية كبيرة من الذخيرة في غير موضعها المناسب.
- 2- وحتى لا يرمي الأخوة بعضهم البعض وخاصة إذا تقدم المجاهدون نحو العدو.

ولم ينتهوا بعد من كلامهم، حتى جاء الأمريكان إلى هذا البيت وصعد جندي إلى الطابق العلوي لتفتيشه يتبعه قطعان من الجرذان فما إن رأى أبو حمزة عدو الله حتى أمطره بوابل سقط إثرها أمامه كأنه عذرة سقطت في بئر.

ثم تقدم هو وأبو جعفر وأمطروا قطع الجرذان خلفه بوابل من الرصاص ففروا بجراحهم، ولكن عدو الله المقتول بقي عند الأخوة.

غنم أبو حمزة والأخوة سلاحه وجعبته لكن الشيخ آثر أبا جعفر بالسلاح ومضت المعركة في هذا اليوم حامية حامية من بيت إلى بيت حتى علا شيخنا أبو حمزة سطح أحد البيوت ليعبر منه إلى بيت آخر وإذا بقناص أمريكي يحتل سطح بيت مجاور أعلى منه فقتل شيخنا في الحال.

فحزن الجميع لفقده فقد كان أبو حمزة وكان، لكن الظرف والوقت لا مجال فيه للبكاء ولا الأحزان فالحرب تطحن الشباب طحنا، ومضى الشباب تاركين خلفهم شيخنا أبا حمزة والغصة في حلوقهم

لكن هذا كان هين إذ قورن بما الذي نكت في قلبي حرقة وحسرة وإلى يومنا هذا وأكيد ستموت معي وحتى أحاجج أمي بعلمائها يوم القيامة.

فقد إستقر بنا الحال في بيت آخر مع مجموعة من أفاضل الأخوة وأرسلنا المجاهد أبا الزبير الليبي إلى جثة أبي حمزة ليحاول دفنها لكن الرجل وبشق الأنفس إستطاع فقط أن يتأكد من وفاة الشيخ ويأتينا ببعض أغراضه الشخصية التي كانت في جيبه. على أمل أن نعود إليه مرة أخرى ريثما تتحسن الأحوال، لكنها ساءت فقد جاء القناصة إلى رأس الفرع الذي يفصل بين بيتينا، ليس ذلك فحسب بل دبابة على رأس الفرع أيضا فما استطعنا إليه سبيلا.

ومضت الأيام وبدأ اليهود بجمع الجثث فرموا بجثة أبي حمزة من أعلى إلى أسفل ثم تركوه عدة أيام في الشارع ونحن ننظر إليه لا نستطيع أن نوارى أخاننا تأكلنا الحسرة ويقطع أكبادنا الألم ونبكي على ما آلت إليه الأحوال بخذلان الأمة.

وكتبه:

أبو اسماعيل المهاجر